من حديث الفكر والقلب
المربي المجهول

حسام الدين السراقبي - دمشق

إن الإعلام في عصرنا يلعب دوراً هاماً في صناعة الأفراد، فقد أصبح أداة التوجيه الأولى التي تَرَاجَع أمامها دور الأب والأم والأسرة وتقلص دونها دور المدرسة، فأصبحت الأسرة والمدرسة في قبضته، يتحكم فيها توجيهاً للأدوار ورسماً للمسار.

ولما كان التلفاز يقدم المادة المرئية والمسموعة والمقروءة معاً.. كان أكثر وسائل الإعلام تأثيراً، ولما كانت الطفولة متطلبة للهو والترفيه، قابلة للانقياد والتوجيه، وجدت في التلفاز بديلاً مؤنساً عن أُمٍّ تخلت أو أبٍ مشغول، فأصبحت مشاهدة التلفاز من أهم النشاطات في حياة الطفل إن لم تكن الأهم، بل أثبتت إحدى الدراسات أن الأطفال يقضون أمام شاشات التلفزيون وقتاً أطول مما يقضونه في مدارسهم، كما بينت الدراسة أن الرسوم المتحركة تمثل النسبة الأعظم مما يشاهده الأطفال.

ربَّى يُربِّي ، تَربيةً ، فهو مُرَبٍّ ، والمفعول مُرَبًّى. فما هي التربية ؟ ومن هو المربي؟

التربية لغة لها معان متعددة منها:

- التنشئة: ربى فلان فلاناً نشأَهُ .
- التغذية: ربَّى فلانا: غذاه غذاءً جسدياً أو عقلياً، أو روحياً أو خلقياً. ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾

الإسراء: 24

- النمو والزيادة: تقول ربا الشيء رُبُوًّا: نما وزاد ، قال تعالى:

﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ البقرة:276

يعني: زادتْ .

ولا تعارض بين هذه المعاني جميعاً: إذ التنشئة الجيِّدة والغذاء الجامع النافع يؤديان لا محالة إلى النموِّ والزيادة.

وأما التربية اصطلاحاً فقد تباين معنى التربية ومفهومها، ذلك لأن العمل التربوي ينصب على تنشئة الإنسان وتكوينه، كما إن الذي يتولى هذا العمل هو الإنسان نفسه، والإنسان في تغير وتطور مستمرين في نظرته إلى نفسه وإلى العالم من حوله، وهذا العالم بدوره في تبدل دائم، فمعنى التربية لا يتأثر بمرور السنين فحسب بل بإختلاف المكان وهذا ما نجده في الواقع حيث إن لكلمة تربية معنى خاصاً في كل قطر من الأقطار بل إن هذا المعنى لا يكون واحداً داخل القطر الواحد، ذلك لأن التربية في أساسها عملية اجتماعية نفسية تعنى بالفرد وتعكس ما في المجتمع من قيم ومثل وعادات وتقاليد وأنماط سلوك، لذا فالتربية هي مرآة المجتمع وهي كذلك اداة المجتمع في صنع المستقبل.[1]

وماذا عن المربي؟

إن الإعلام في عصرنا يلعب دوراً هاماً في صناعة الأفراد، فقد أصبح أداة التوجيه الأولى التي تَرَاجَع أمامها دور الأب والأم والأسرة وتقلص دونها دور المدرسة، فأصبحت الأسرة والمدرسة في قبضتة، يتحكم فيهاتوجيهاً للأدوار ورسماً للمسار.

ولما كان التلفاز يقدم المادة المرئية والمسموعة والمقروءة معاً.. كان أكثر وسائل الإعلام تأثيراً، ولما كانت الطفولة متطلبة للهو والترفيه، قابلة للإنقياد والتوجيه، وجدت في التلفاز بديلاً مؤنساً عن أُمٍّ تخلت أو أبٍ مشغول، فأصبحت مشاهدة التلفاز من أهم النشاطات في حياة الطفل إن لم تكن الأهم، بل أثبتت إحدى الدراسات أن الأطفال يقضون أمام شاشات التلفزيون وقتاً أطول مما يقضونه في مدارسهم، كما بينت الدراسة أن الرسوم المتحركة تمثل النسبة الأعظم مما يشاهده الأطفال.

فإليكم إذا مربي العصر... أنا متأكد أنكم عرفتم من هو! نعم أنه الرسوم المتحركة.

إن أهمية التعرف على الرسوم المتحركة كمربي للجيل- إن اتفقتم معي على تعريفه بذلك- لا تأتي فقط من كونها تشكل النسبة الأعلى لما يشاهده الأطفال، بل تأتي كذلك من أن قطاعاً كبيراً من الآباء الملتزمين والأمهات الصالحات لا ينتبه لخطورة أثرها على الأطفال، فيلجأ إلى شغل أوقات الصغار بها هرباً من عُري الفضائيات وتفسخها والتماساً لملاذ أمين و حصنٍ حصين.. يجد فيه الأمن على أبنائه، فهل هو كذلك؟

وتأتي أهمية التعرف على الرسوم المتحركة كذلك من سرعة تفاعل الأطفال مع مادتها وشدة حرصهم على متابعتها وزيادة ولعهم بتقليد أبطالها، فهي تلقن الطفل كماً كبيراً من معلومات، فإذا علمنا أن حصيلة ما يتلقفه الطفل حتى سن البلوغ من معلومات تفوق كل ما يتلقاه بعد ذلك من علم ومعرفة بقية عمره، ووضعنا هذا في الحسبان، فلا عجب أن يعتبر كثيرٌ من علماء الاجتماع تجارب الطفولة محدداً أساسياً من محددات السلوك البشري. فإذا الرسوم المتحركة هي بحق من أهم مربي الجيل.

أكدت دراسة للمجلس العربي للطفولة والتنمية أهمية وظيفة التليفزيون للطفل العربي باعتبارها تنافس وظيفة الأب والأم، مؤكدة أن برامج الرسوم المتحركة المستوردة في معظمها تؤثر سلباً على الأطفال، لكونها لا تعكس الواقع ولا القيم العربية ولا حتى تعاليم الدين الإسلامي.

وذكرت الدراسة أن هذه البرامج تأتي حاملة لقيم البلاد التي أنتجتها، وتعكس ثقافتها، موضحة أن برامج الرسوم المتحركة تلقى درجة تفضيل عالية من بين البرامج والفقرات التليفزيونية لدى الطفل، وهو ما يؤكد الأثر الواضح للتلفزيون على الأطفال العرب.

وأشارت في ذلك إلى ترديد الأطفال للألفاظ والعبارات التي يسمعونها، وكذلك تقليد الحركات والأصوات التي تصور شخصيات أو حيوانات إضافة إلى تقليد بعض اللهجات والشخصيات في سلوكها وفي أزيائها، مبينة أنه على الرغم من سلبيات بعض البرامج فإنها مسلية للأطفال، وتزودهم بالمعلومات وتنمي مواهبهم.

وأكدت الدراسة أهمية الدور التربوي لأفلام الكرتون ومسلسلات الأطفال، حيث يمكنها المساعدة في نمو الطفل اللغوي والاجتماعي والوجداني والانفعالي، وإمداده بالخبرات الحياتية، وهو عكس ما تقدمه الأفلام والمسلسلات المستوردة للأطفال.

وإن من الآثار السيئة لهذا المربي المستورد:

تقديم مفاهيم عقدية وفكرية مخالفة للإسلام:

وللتدليل على ذلك نذكر مثال الرسوم المتحركة الشهيرة التي تحمل اسم The Simpsons لصاحبها Matt Groening، الذي صرّح أنه يريد أن ينقل أفكاره عبر أعماله بطريقة تجعل الناس يتقبلونها، وشرع في بث مفاهيم خطيرة كثيرة في هذه الرسوم المتحركة منها:

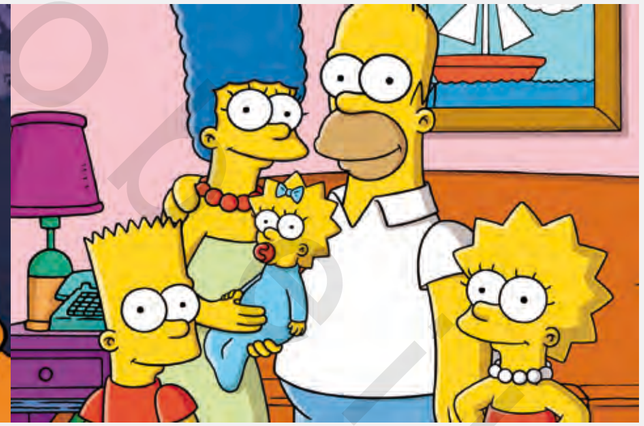

رفض الخضوع لسلطة (الوالدين أو الحكومة)، الأخلاق السيئة والعصيان هما الطريق للحصول على مركز مرموق، الجهل جميل والمعرفة ليست كذلك، بيد أن أخطر ما قدمه هو تلك الحلقة التي ظهر فيها الأب في العائلة Homer Simpson وقد أخذته مجموعة تسمي نفسها (قاطعي الأحجار)!! عندما انضم لهم الأب، وجد أحد الأعضاء علامة في الأب رافقته منذ ميلاده، هذه العلامة جعلت المجموعة تقدسه وتعلن أنه الفرد المختار، ولأجل ما امتلكه من قوة ومجد، بدأ Homer Simpson يظن نفسه أنه الرب حتى قال: "من يتساءل أن هناك رباً، الآن أنا أدرك أن هناك رباً، وأنه أنا"، ربما يقول البعض أن هذه مجرد رسوم متحركة للأطفال.. تسلية غير مؤذية، لكن تأثيرها على المستمعين كبير مما يجعلها حملة إعلامية ناجحة.. تلقن السامعين أموراً دون شعورهم..وهذا ما أقره صانع هذه الرسوم المتحركة.

كذلك تعمد بعض الرسوم المتحركة إلى السخرية من العرب والمسلمين:

ومثال ذلك بعض حلقات برنامج الرسوم المتحركة المعروف باسم سكوبي دو Scobby Doo والمملوك لـ William Hanna و JosephBarbera الذَين طبّقت شهرتهما الآفاق، في إحدى الحلقات "يفاخر ساحر عربي مسلم عندما يرى اسكوبي بقوله : "هذا ما كنت أنتظره تماماً، شخصٌ أمارس سحري الأسود عليه"، ويبدي الساحر المسلم رغبته في تحويل سكوبي إلى قرد، لكن السحر ينقلب على الساحر ويتحول الساحر نفسه إلى قرد، ويضحك سكوبي وهو يتحدث مع نفسه قائلاً: "لا بد أن ذلك الساحر المشوش ندم على تصرفاته العابثة معنا"، ومرة أخرى في حلقة سكوبي دو تقوم مومياء مصرية بمطاردة سكوبي ورفاقه. ويرتابون في أن المومياء نفسها حولت صديقهم الدكتور نسيب- العربي المسلم - إلى حجر، وفي النهاية يستميل سكوبي المومياء ويلقي بها في إحدى شباك كرة السلة، ولكن عندما يكشف النقاب عن المومياء يجد أنها - لدهشة سكوبي- لم تكن مومياء بل الدكتور نسيب نفسه الذي أراد سرقة قطعة عملة ثمينة من سكوبي متنكراً في زي مومياء، أي أن سكوبي يريد إنقاذ مسلم يود سرقته، لقد بلغ المسلم هذا الحد من الرداءة.

إشباع الشعور الباطن للطفل بمفاهيم الثقافة الغربية:

إن الطفل عندما يشاهد الرسوم المتحركة التي هي - في غالبها - من إنتاج الحضارة الغربية، لا يشاهد عرضاً مسلياً يضحكه ويفرحه فحسب، بل يشاهد عرضاً ينقل له نسقاً ثقافياً متكاملاً يشتمل على:

- **أفكار الغرب:**

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: "فقصص توم وجيري تبدو بريئة ولكنها تحوي دائماً صراعاً بين الذكاء والغباء، أما الخير والشر فلا مكان لهما وهذا انعكاس لمنظومة قيمية كامنة وراء المنتج".

والرسوم المتحركة في أكثر الأحيان تروج للعبثية وغياب الهدف من وراء الحركة و السلوك، والسعي للوصول للنصر والغلبة - في حمي السباق والمنافسة - بكل طريق، فالغاية تبرر الوسيلة، كما تعمل على تحريف القدوة وذلك بإحلال الأبطال الأسطوريين محل القدوة بدلاً من الأئمة المصلحين والقادة الفاتحين، فتجد الأطفال يقلدون الرجل الخارق Superman، والرجل الوطواط Batman، والرجل العنكبوت Spiderman، ونحو ذلك من الشخصيات الوهمية التي لا وجود لها، فتضيع القدوة في خضم القوة الخيالية المجردة من بعدٍ إيماني.

- **روح التربية الغربية:**

إننا إن تجاوزنا عن ترويج الرسوم المتحركة للأفكار الغربية، فلا مجال للتجاوز عن نقلها لروح التربية الغربية، يقول الدكتور وهبة الزحيلي: "أما برامج الصغار وبعض برامج الكبار فإنها تبث روح التربية الغربية، وتروج التقاليد الغربية، وترغب بالحفلات والأندية الغربية"، ذلك أنها لا تكتفي بنقلها للمتعة والضحكة والإثارة بل تنقل عادات اللباس من ألوان وطريقة تفصيل وعري وتبرج، وعادات الزينة من قصة شعر وربطة عنق، ومساحيق تجميل، وعادات المعيشة من ديكور وزخرفة، وطريقة أكل وشرب، وثمل ونوم وحديث وتسوق ونزهة، وعادات التعامل من عبارات مجاملة واختلاط، وعناق وقبلات، ومخاصمة وسباب وشتائم، ونحو ذلك من بقية مفردات النسق الثقافي الغربي.

هذا النسق الثقافي المغاير يتكرر أمام الطفل كل يوم فيألفه ويتأثر به، ويطبقه في دائرته الخاصة، حتى إذا ما تكاملت شخصيته لم يجد منه فكاكاً فصار نهجاً معلناً ورأياً أصيلاً لا دخيلاً!! - كيف لا؟ وقد عرفه قبل أن يعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا - فلا يجد حرجاً في الدفاع عنه والدعوة إليه بل والتضحية من أجله.[2]

ما أريد أن أخلص إليه هو أن نحذر من هذا المربي المستورد وإلى ما يربي عليه أجيالنا؟

ثم لماذا لا نصنع نحن المربي الخاص بنا؟ أليس أطفالنا هم مستقبلنا يمشي بيننا؟

لماذا هذا الإصرار على وضع هذا الجيل الناشئ بين خطر هذا المربي المستورد والذي دخل بيوتنا بدون أو مع إذننا وبين النمط القديم في التعليم والإرشاد والذي مجته نفوس أولادنا وإن انصاعوا إليه استماعاً فهو أبداً لن يتجاوز آذانهم أو بأحسن حالاتنا صنعنا نسخه هزيله عن ذاك المستورد إلا من بعض الاستثناءات.

أما آن الآوان أن نستثمر حاضرنا من أجل مستقبلنا وبشكل يليق بما نملك من تراث ثقافي وحضاري وأخلاقي؟

أم نحب أن نكسر إناء اللبن ثم نجلس نتباكى عليه؟

المصادر:

(1): الأستاذ مهدي محمد جواد محمد ابو عال

(2): الرسوم المتحركة و أثرها على تنشئة الأطفال- نزار محمد عثمان

واقع طفل اليوم

العميد: عبد الله بن محمد اليوسف

بالأمس.. كانت الجدة هي قلب العائلة في الماضي، فهي النور المتوهج بين أحفادها الصغار وأطفال الحي الواحد. فالقصص كانت تبدأ كل ليلة بعد صلاة العشاء، وبعد أن يكون الأطفال قد تناولوا عشاءهم، حيث تجلس الجدة في عقر الدار أو أمام العريش في الفناء، ويلتف حولها الصغار الذين اعتادوا عليها من أبناء أبنائها وأصدقائهم من الجيران.

كانت الجدة أو الراوية تتحلى بصفات، وهي صفات تنتقل إلى الصغار بتلقائية ولكنها مقصودة، لإكسابهم تلك الصفات الحميدة في حياتهم، ومن الصفات الجميلة المفعمة بالطيبة.. الرفق واللين والبشاشة وروح النكتة والدعابة، فالجدة شخصية حكيمة متأنية وحليمة، تتلقى برحابة صدر استفسارات الأطفال حول القصة التي ترويها، فلا تسأم من تكرار الأسئلة. علما أن تلك القصص الشعبية تعتمد كلها على الخيال. ومن تلك القصص الشهيرة قصة "أم السعف والليف" فكانت النسوة يسردنها بأسلوب تشوبه الرهبة، بقصد تخويف الصغار من أمر ما.

فابتداع هذه القصص كان نابعاً من حرصهم وخوفهم على أطفالهم، بغض النظر إن كانت هذه الروايات حقيقة أم خيال.. هم ابتدعوا الخيال ليخدم ويصون أبناءهم من المخاطر، وقد وظفوا الخيال للتربية والوقاية ولو بشكل بدائي[1].

- إن واقع طفل اليوم صعب ويمكن توضيحه بالنقاط التالية:

1. كثرة الملهيات التي تلهي عن القيام بهذا الواجب العظيم؛ وذلك لحب الأطفال في هذا المرحلة للعب وميلهم الفطري له. حيث تتوفر في وقتنا الحاضر من الأشياء المشغلة لم تكن معروفه من قبل- من تلفاز (محطات فضائية متنوعة) وألعاب اليكترونية متعددة كـ(بلايستيشن) ومواقع على الشبكة العنكبوتية مفتوحة لجميع الأعمار وشرائح المجتمع والتي اجتازت الحدود وصعب المراقبة لها.

2. تواجد تلك في كل مكان فهي تحاصر الطفل في كل مكان وزمان. فنجدها مثلا في :

a. في حديقة الحي عبارة عن ملسيات تراعي العمر.

b. في البيت أجهزة التواصل الاجتماعي بأنواعها والتي يمكن حملها بسهولة والتي تعمل على مدار الساعة والتي أفقدت سيطرة الأهل على الجيل.

c. وعند الانتقال كالسفر جواً وبحراً وبراً يمكن نقل تلك مع الطفل حتى في الشارع والأسواق، ولها نصيب في استغلال تلك الأجهزة عند خروجه من البيت لأي غرض قد لا يستغرق وقتاً تجده لا يستغني عن تلك الأجهزة.

d. حتى في الاجتماعات الأسرية رغم قلتها وهم موجودون ولكنهم غائبون، إن الجميع أصبح مشغولاً بوسائل التقنية والاتصال، والتي أصبحت تبعث السأم والملل، أن الناس أصبح لديهم فقد للوعي، بسبب الانغماس بـ"الانترنت" والجوال وعالم "الفيس بوك" و"التويتر"، وغيرها من وسائل الاتصالات التي أسيء استخدامها، بالرغم من الفوائد التي تحمله تلك التقنية، إلاّ أن الكثير على اختلاف فوارقهم الفكرية والاجتماعية من ذكور وإناث وأطفال انشغلوا بها كثيراً، أن الأطفال أصبحت ثقافة "الجهاز" هي المسيطرة، حتى أصبحوا يفضلونها كنوع من الهدايا على غيرها من لعب الأطفال، ذاكرةً أن الأمر تحول إلى حالة من السأم والملل من محيط اجتماعي المسيطر عليه التقنية، والتي فقدت معناها الحقيقي في ظل الاندفاع الكبير لها.

e. حتى أصبحت المشاعر الإنسانية تتبادل عن طريق وسائلها المختلفة وأصبحت الأسر الآن تعانى من مشكلة إدمان الأطفال للكمبيوتر والإنترنت وبعض برامج التليفزيون التي تجذب انتباههم مما جعلهم يعانون من بعض المشاكل النفسية والأخلاقية، بالإضافة إلى إهمالهم للمواد الدراسية.

f. وقالت "أروى الغلاييني" - مستشارة ومدربة بالتربية وتطوير الذات-: «إن عالم التقنية هو في حقيقتها أداة لا يمكن الجزم بشرها المطلق أو خيرها المطلق، إلاّ أنه من الصعب تجاهلها، موضحةً أنها من الأمهات التي تقف ضد ثقافة الشاشات، حيث تنادي بالتقليل منها والاستعاضة بالدورات عنها، فالأطفال يشترون الوهم منها، مستشهدةً بقصة ابنها الذي كان يلعب "المصارعة" وفجأة قفز من مكانه بهتافته وكله سعادة وهو يصرخ: "فزت فزت، ثبتك وغلبتك وقتلتك"، وفي الحقيقة كان يضغط فقط على مجموعة من الأزرار، ذلك ما كان يفعله، على الرغم من اعتقاده أنه انتصر، مشيرةً إلى أننا مجتمع نستهلك التقنية ولا نستثمرها، نستهلكها سلباً وليس إيجاباً، فالإنترنت أصبح المراجع الرقمية لنا بدل المراجع الورقية، مؤكدةً على أن الأم والأب حينما يغرقان في دائرة الانشغال بالتقنية، فتلك قضية خطيرة جداً لابد لها من العلاج والدورات، فمن الصعب أن تترك الأم على سبيل المثال تربية الأبناء والاهتمام بالمنزل لتغرق في الانترنت و....تقول الانشغال بالهاتف و(البيبي) في التجمعات الأسرية، يدل على الجهل والبعد عن حدود اللباقة، كما أنه يحمل دعوة للتوحد؛ لأن الشخص يشعر بأنه دائماً لوحده»! [2]

g. ويقول الدكتور تامر جمال أخصائي التوجيه النفسي ومدير مركز إشراق للاستشارات النفسية هناك دراسات عديدة ناقشت تأثير التليفزيون وأجهزة التكنولوجيا على الأطفال، وكان السبب وراء إدمان الأطفال لوسائل الإعلام والتكنولوجيا هو فقد لغة الحوار بين أفراد الأسرة الواحدة، فيضطر الطفل إلى عمل حوار خاص به سواء عن طريق اللعب على جهاز الكمبيوتر أو عن طريق الشات مع أصدقاء خارج نطاق معرفته، أما بالنسبة للتليفزيون فمن المعروف أن شاشات وسائل الإعلام تجذب الصغير أكثر من الكبير فيقوم هذا الطفل بدور المتلقى دائماً للرسائل الإعلامية دون أن يقوم بمناقشتها مع والديه وهذه الفجوة، حدثت بسبب انشغال الأسرة بالعمل المستمر دون الاهتمام بأطفالهم وعدم القيام بواجباتهم تجاه هذا الطفل مما ينتج عنه إصابة الطفل ببعض المشاكل النفسية المختلفة[3].

✳ أمن الاطفال وسلامتهم

- مخاطر استخدام هذه الأجهزة كثيرة منها :

1. جسدياً:

أ- عندما يجلس الطفل لساعات متواصلة متسمرا فهذا غير طبيعي بالنسبة للأطفال لاحتياجهم للحركة المستمرة.

ب- زيادة الوزن.

ت- إجهاد العين بسبب النظر المستمر إلى نقطة واحدة.

ث- التأخر في النشاطات البدنية والألعاب اليدوية التي تنمي مهارات إنسانية مهمة لأي طفل.

2. نفسياً:

أ- قد يتكون عند الطفل مرض الإدمان على استخدام هذه الأجهزة و قد يؤدي هذا المرض إلى إدمان أشياء أخرى مثل إدمان الانترنت وإدمان الألعاب الالكترونية و إدمان مواقع التواصل الاجتماعية.

ب- فقدان القدرة على التواصل مع أقرانه من الأطفال أو حتى عائلته وجهاً لوجه.

ت- الانطواء والعزلة.

3. أمنياً:

أ- قد يستخدم المجرمين هذه الأجهزة للتلاعب بعقل الأطفال وإدراجهم إلى أمور مثل (المخدرات ..الشرب..أو حتى لجرائم جنسية).

ب- قد يستخدم الطفل برمجيات يقدم فيه معلومات شخصية أو حتى صور أو ملفات شخصية عن نفسه أو عن عائلته دون العلم بوجود خدعة أو مخطط موضوع عن طريق الهندسة الاجتماعية للاحتيال على الناس.

4. ثقافياً وعلمياً:

أ- الانترنت البوابة السحرية لكل الثقافات.. هل تعتقد أن الطفل وفضوله لن يحاولا التعرف إلى الثقافات المختلفة وهذه الثقافات سيكون لها تأثير سلبي إذا لم تكن هناك رقابة أو توجيه صحيح.

ب- الانترنت عموماً تحوي جميع ما وجد من مواد إباحية وخلاعية يمكن تحصيلها متعمداً أو حتى بالخطأ.

ت- قد يؤخر الانشغال بتوافه الأمور على الآيباد الطفل عن تحصيل العلم الفعلي في المدرسة أو البيت.

5. مادياً:

أ- قد يستعمل الطفل بالخطأ أو دون قصد أو بعد التعرض لعملية احتيال بيانات بطاقات الاعتماد المخزنة على الجهاز[4].

✳ إن تربية طفل اليوم تعقدت وتشابكت وتقاسمت مع الأسرة التربية عدة جهات ليتحقق أدب وتربية الطفل:

إننا نريد منه أن يحقق لنا عدداً من الأهداف الكثيرة التي تدخل تحت أربعة أهداف رئيسة هي:

1 - أهداف عقدية.

2 - أهداف تعليمية.

3 - أهداف تربوية.

4 - أهداف ترفيهية.

وذلك التقسيم لكيلا تتداخل الأفكار، وإلا فكل الأهداف تدخل تحت الهدف العقدي؛ لأننا أمَّةٌ عقيدتنا تشمل جميع شؤون الحياة الكبيرة منها والصغيرة.

1 - الهدف العقدي:

أهل كُل أمَّة كتبوا أدبهم مستمدين ذلك من عقائدهم، فتجد آثار تلك العقائد ظاهرة في آدابهم جليَّة، وبما أن ديننا الإسلام خاتم الأديان والمهيمن عليها وجب علينا أن يكون هذا الأدب معبراً عن تلك الحقيقة، فنجعل عقيدتنا تصل إلى الأطفال عن طريق الربط بينها وبين جميع حواسهم وملاحظاتهم ومداركهم؛ لأنه لا خوف من ذلك؛ فعقيدتنا لا تصطدم بشيءٍ من الحقائق العقلية، فتكون كلمة التوحيد موجودة في ذلك الأدب حتى تنمو معه. ولقد حرص الإسلام على أن يكون أولَ ما يطرق سمع الصبي الشهادتان، وكان سلفنا أول ما يحرصون عليه أن يتكلم الطفل بالشهادة، فتنمو معه ويزداد حبُّه لها.

يقول الغزالي: «اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه ليحفظه حفظاً لا يزال ينكشف له معناه في كِبَرِه شيئاً فشيئاً».

لا بد من ترسيخ حب الله ـ سبحانه وتعالى ـ ومعرفة قدرته، وأنه خالق الإنسان ومسيِّر الكون، وأن المرجع والمآل إليه، فينشأ الطفل غير مشوش التصور وضعيف، تهزُّه أول كلمة شك، أو ينساق وراء الجهل، فيقع في الشرك أو البدع المهلكة.

وما أجمل تلك الأناشيد التي تمجد الخالق وتحث على التدبر في مخلوقاته، أو تلك القصص والصور التي تزيد الطفل يقيناً بعظمة الخالق وقدرته، فيزداد حباً لربه ويقيناً بعقيدته التي تدعوه إلى التضحية في سبيل الله كما فعل سلفه الصالح.

ومن تلك الأهداف العقدية محبة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - والأنبياء والرسل، وذلك عن طريق السيرة النبوية وقصص الأنبياء المستمدة من القرآن الكريم والسنة الكريمة لا من الإسرائيليات، فما أروع تلك القصص عندما تكون تفسيراً مبسطاً لقصص الأنبياء والمرسلين التي وردت في القرآن، فيزداد ارتباطه بالقرآن، ويعلم علم اليقين أنه المصدر السابق لتلك القصص، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فيكون ذلك درعاً للدفاع عندما يصل إليه المشككون، كما يصبح له ذلك طريقاً لتعلم القرآن وقراءته ومحبته والارتباط به. ومن الأهداف كذلك تحبيب الأطفال بالرسول - صلى الله عليه و سلم -، ومعرفة حقه، ووجوب طاعته؛ ففي عرض سيرته مجملة أو مقسمة خير مرسخ لتلك المحبة، والتركيز على صلته بأصحابه وعرض محبتهم له وفدائهم له، وما أكثر تلك المواقف القصصية في سيرته وسيرهم.

كما تعرض لهم علاقته مع أهل بيته، وليكون الطفل على دراية بدور الأم والأب والأولاد، فلا يكون ذلك غرضاً يرمى به عند الأقلام المسمومة.

ولا بد في أدب الطفل من استلهام كل أمرٍ عقدي من القرآن الكريم؛ حتى يعرف الطفل عن طريق تلك الآداب أن القرآن مصدر عقيدته لا يدخله شك ولا شبهة ليكون ذلك خير دفاع في نفسه في وجه تيارات الكفر والضلال، فينشأ الطفل قادراً على التكيف لا تتنازعه الأهواء، ويكون أكثر اتزاناً؛ لأن العقيدة الصحيحة غُرست في قلبه وفكره بتمثلهم لها عن طريق تلك الآداب.

- يقول الإمام الغزالي: «ويرسل إلى المكتب مبكراً فيتعلم القرآن وأحاديث الأخيار، وحكايات الأبرار ليُغرَس في نفسه حب الصالحين».

وليس الأمر في ذلك بحشو أدب الطفل بتلك الأسس حشواً، بل تكون أسساً يركز عليها ذلك الأدب. فقد تكون القصة أو التلوين أو الفيلم أو الأنشودة في بابها أو تحوي بين ثناياها تلك الأسس لتصل إلى الطفل مقرونة بشيءٍ من المحسوسات؛ لتكون أسرع رسوخاً في ذهن الطفل، مبسطة حتى يمكن لعقل الصغير إدراكها، وفي القرآن الكريم أمثال لذلك من ضرب الأمثال على التوحيد، وعظمة الخالق، وقصص النبيين.

e.kenanonline.com

2 – الهدف التعليمي:

لا بد أن يضيف الأدب إلى أهله شيئاً قد يكون مفيداً أو ضاراً؛ وأُمَّةُ الإسلام يجب أن يضيف أدبها ـ أيًّا كان نوعه ـ ما يفيد سوادها ـ ومن ذلك أدب الأطفال الذي يجب أن يستغل حب الأطفال للاستطلاع والمعرفة. يقول عبد الفتاح أبو مِعال:

– «ولما كان الإحساس بالحاجة إلى المعرفة عند الأطفال جزءاً من تكوينهم الفطري لأن غريزة حب الاستطلاع تنشأ مع الطفل وتنمو معه، ومحاولة الطفل التعرف على بيئته تعتبر من العوامل الهامة التي إذا عولجت بحكمة؛ فإن ذلك يؤدي إلى تنمية ما يمكن أن يكون لديه من إمكانات وقدرات».

ومن ذلك أن يكون هذا الأدب يدرب الطفل على قراءة القرآن، وإجادة تلك القراءة مع فهم مبسط لمعاني ما يقرأ لكي يتذوق القرآن ويفهم ما يقرأ. وفي القرآن رصيد ضخم للمعارف بأنواعها مما يفتح عقل الطفل ويزيد تعلقه بكتابه؛ ففي بعض سور القرآن كسورة الفيل، والمسد، والشمس، قصص مبسطة وقصيرة تناسب الأطفال. وكلما تقدم الطفل كان الأدب مراعياً لذلك التقدم، كما يتعلم عن طريق الأدب ما يُقوّم لسانه من لغته العربية، فيزداد تعلقاً بها ومحبة لها، مع مراعاة القاموس اللفظي للطفل، ولذلك لا يستطيع كل أديب الكتابة للأطفال.

وليكن الأدب محفزاً الطفل على اكتشاف كل جديد، ومعرفة خفاياه من علوم دنيوية تحيط به كمكونات جسم الإنسان وآليته، وخلق الحيوانات والأرض والأفلاك وغيرها، ليعرف إبداع الخالق وعظمته مع ربط ذلك بالقرآن الكريم الذي يحوي الكثير منها. كما يعلمه الأدب علوم الإنسان كالتاريخ والجغرافيا والفيزياء والحاسب الآلي والأقمار الصناعية؛ ليشبع في نفسه حب المعرفة ولتنمية ما لديه من هوايات لتصبح مهارات يتميز بها. قال محمد بريغش: «وأدب الطفل يعين على اكتشاف الهوايات والحصول على المهارات الجديدة، ويعمل على تنمية الاهتمامات الشخصية عند الطفل».

ويمكن تشجيعه على استعمال تلك المعارف في حديثه مع غيره، وفي إلقائه ومخاطبته للجمهور، ولنعلم مدى فائدة تلك الآداب للطفل لننظر إلى الأفلام المتحركة المدبلجة أو المنتجة؛ فلغتها الفصحى علمت أكثر الأطفال هذه اللغة المحببة، وأصبح السواد الأعظم من أطفالنا المتابعين لها يعون ويفهمون لغتهم الفصحى وإن لم يستطيعوا الكلام بها بشكل جيد، وظهر أثر ذلك في كتاباتهم، فزادت مفردات الفصحى وأساليبها، وأثّرت في حديثه وكتابته.

3 – أهداف تربوية:

إن التربية التي يتلقاها الطفل عن طريق الأدب ليست بأقل مما يتلقاها في مدرسته أو على يد والديه أو عن طريق مجتمعه؛ لأن الطفل عندما تكون هذه التربية بالأدب أياً كان نوعه يقرؤها أو يسمعها أو يراها؛ فإنها ترسخ في ذهنه؛ فابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عندما أوصاه الرسول – صلى الله عليه و سلم – بالوصية الجامعة كان غلاماً، ورغم ذلك طبق تلك النصيحة ونقلها إلى غيره من الناس، وطبعت حياته بطابعها الإيماني.

فالطفل بطبعه ميال إلى تقليد غيره من الكبار بالحسن وبالقبيح؛ فالتربية لا بد أن تراعي ذلك الجانب؛ فإنه عندما يرى فيلماً أو يقرأ أو يسمع قصة يتمثل أو يحاول أن يتمثل دور البطل أو الشخصية التي تناسبه فيها، فيحاول قدر الإمكان تقليدها؛ لذلك وجب علينا أن نستفيد من ذلك وخاصة في الأدب المرئي للطفل؛ لأنه أسهل طريق للتربية لا يحتاج إلى كبير جهد وعناء.

إذن يجب أن يكون هذا الأدب مربياً للطفل على الأخلاق الحسنة الفاضلة متصفاً بالتوحيد؛ فما أحسن تلك الأفلام المتحركة أو غيرها التي تصور طفلاً ينشأ على الفطرة الإلهية موحداً متصفاً بأخلاق حسنة وصفات نبيلة يتمثلها الطفل ويعجب بها أيما إعجاب، وما أكثر ما بلينا بتقليد أطفالنا لكل بطل أجنبي بسبب قصور أدب الطفل المرئي لدينا، إن لم نقل انعدامه، فجلب لنا جيلاً منفصلاً عن أمته، بل وعن محيطه الصغير ممن هم أكبر منه سناً، وما أعظم تأثير قصص أبناء الصحابة والصغار الصالحين؛ لأنه سيتمثل تلك المواقف لتصبح جزءاً من تكوينه.

لا بد أن تكون الأهداف التربوية في هذا الأدب أهدافاً سامية منتقاة من تاريخ أمتنا، لا بد أن ننمي فيهم عن طريق أدبهم روح الجهاد وبذل النفس والمال في سبيل ديننا؛ لأن التربية الأنانية وحب الذات قادنا لنكون أمة كغثاء السيل الذي أخبرنا به النبي – صلى الله عليه و سلم –، كما ننمي فيهم روح المبادرة والقيام بالأعمال المفيدة، بل أن ننمي فيهم انتظار المعجزات التي لن تكون، ونربي بهذا الأدب الاعتماد على القرآن والسنة لتصديق أمر ما بدلاً من تحكيم غيرنا الذي قادنا لنؤمن بالخرافات والخزعبلات، فانتشر كثير من

المسلمين بين القبور والقباب، وضاعت هممهم بين الأناشيد والأذكار الصوفية، ونجعل هذا الأدب يطبعهم بطابع العزة والأنفة وعدم الانحناء أمام ملذات الدنيا، ويصور لهم أن الحياة خير وشر وسعادة وعناء، حتى نبعدهم عن اليأس والضغوط والتشاؤم، ولا زلنا نتذكر تلك القصص المفزعة عن السحالي والوحوش والعفاريت التي جبلتنا على الخوف والرهبة من كل شيء، فلا بد أن يكون هذا الأدب منمياً لأطفالنا على حب الجهاد وعدم الخوف؛ لأن تلك التربية قادت المسلمين لأن يكونوا أيتاماً على مأدبة اللئام.

4 – الهدف الترفيهي:

لا بد أن يكون هذا الهدف داخلاً في الأهداف السابقة؛ لأن الطفل يحب التسلية والترفيه ويمل من الجد؛ فعندما نقدم له العقيدة والتعليم والتربية عن طريق الترفيه فلا بد أنه سيُقبل عليها وتنغرس في ذهنه أكثر مما لو كانت خالية من التسلية والترفيه. ولا أدل على ذلك من تعلق التلاميذ بالأفلام المتحركة، رغم أهميتها في التعليم والتربية إلا أننا نجعلها للترفيه. قال عبد الفتاح أبو مِعال: «والفيلم المصور المسجل بالصوت والمصاحب للحركة يساعد الأطفال على إيصال المادة التعليمية إلى جميع فئات الأطفال؛ فهذه العناصر: الصوت والصورة والحركة، تقوي سرعة البديهة والذاكرة، وتغرز القدرة على الفهم والحفظ».

لكن طلب تلك التسلية والترفيه للطفل لا يصرف هذا الأدب إليه خاصة بدون نظر إلى الأهداف السابقة؛ لأنها المهمة وهو الوسيلة، لننظر إلى واقعنا حينما صرفنا أطفالنا نحو التسلية؛ فكثير من آداب الطفل نقصد بها التسلية والترفيه لكنها غرست في نفوسهم ما يصادم الدين والأخلاق؛ لأنه لا يوجد أدب ترفيهي منعزل عن الأهداف الأخرى؛ فالطفل عندما يلون قصة أو يشاهد فيلماً أو يقرأ فإنه يستمتع بذلك ويتسلى به، ولكنه يكتسب من تلك التسلية قيماً ومفاهيم إن صيغت بما نريد أفادت، وإن صاغها غيرنا قد تفيد ولكنها تضر أيضاً، فهي كالخمر والميسر حينما قال عنهما الله ـ تعالى:

﴿ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴿٢١٩﴾ ﴾ البقرة: 219

واقع أدب الطفل:

هل حققنا هذه الأهداف؟ لا شك أننا لم نحقق للطفل تلك الأهداف ما عدا هدفاً واحداً هو الهدف الترفيهي. لماذا؟ لأنه هدف لا يحتاج إلى عمل وعناء وفكر كبير، نقوم بحشو الخيال الكاذب في قصة أو خلافها ثم نعطيه الطفل رغم خطورته. يقول باحث

– : «هناك فارق بين الخيال من جانب، وبين الكذب وعدم الصدق من جانب؛ فالأطفال يحبون سماع الحكايات التي يعتقدون أنها ممكنة الحدوث وهم لا يرفضون الأحداث الخارقة».

– أو نقوم باستيراد ما يطرح لنا من مزابل الأمم الأخرى (كأمريكا غرباً) (اليابان شرقاً) وغيرهما ونسرع به إلى أطفالنا؛ فنحن نقصد به الترفيه، وغيرنا له أهداف أخرى يغرسها فيه.

– يقول حازم العظم: «إن معظم ما تنشره دور النشر للأطفال مترجم أو مؤلف بغير خبرة كافية؛ فالأدب الخاص قليل ويمر بأزمة وجود، وهذه الأزمة أتاحت لبعض الناشرين في غيبة الرقابة والنقد: البحث عن مجلات وكتب الأطفال الرائجة (والأفلام المتحركة ولعب الكمبيوتر) فقدموها لأطفالنا مترجمة بالصور نفسها بغير تمحيص، مع أنها تحوي قيماً تربوية غير ملائمة لعقيدتنا وقيمنا الروحية، أو مرفوضة حتى في البلاد التي تصدر عنها».

ويقول عبد التواب يوسف: «والأطفال لدينا اليوم ضاقوا بسذاجة الكتب التي تسمى: (كتب الأطفال)، وضاقوا ببساط الريح وسندريلا وغيرها».

بل بُلينا بمن يكتب قصصاً للأطفال تهدي إلى الخوف والجبن بدل أن تهدي إلى الشجاعة والجهاد، وتدعو إلى الركون إلى الحظ كقصص السحرة والشياطين والعفاريت.

يقول الدكتور محمد شاكر سعيد: «إن كثيراً مما كتب للأطفال في واقعه ليس صالحاً للأطفال لتجاوزه مستويات الأطفال، أو لتجاوزه الجانب التربوي المناسب للأطفال، أو لعدم تضمنه قيماً أخلاقية تسهم في تربية الأطفال وتنشئتهم».

ولاحظ حازم النعيمي في تحليله لقصص مجلة عربية للأطفال فقال: «إن كثيراً من هذه القصص يسيطر عليها اتجاه ينقص دور المرأة في مجتمعنا العربي، كما أن الأفكار الواردة فيها تعبر عن تبني مفاهيم خاطئة عن قدرات المرأة ووظيفتها الاجتماعية وسماتها الشخصية وسلوكها»

وأدب الطفل مجال واسع لنشر التبعية الثقافية والإعلامية؛ إذ يستخدمه الاستعمار لغزوه الثقافي والإعلامي، ويتلقى الطفل المنتوجات الأدبية والفنية الغزيرة في شتى الفنون والوسائط بقصد التأثير على تكوين الناشئة، والترويج للنمط الثقافي التابع.

لذلك أفرز لدينا مفاهيم خاطئة أنتجت انفصالاً بين الطفل وعقيدته ومجتمعه؛ لأنه يرى ما يصادم ما يقال له وفي النهاية يكون عقل الطفل مجالاً للصراع.

كما يركز كثير من كتاب الأطفال على النزعة الفردية التي تسير الحدث دون ذكر للمجتمع المحيط بالبطل؛ مما يجعل الطفل معتزاً بذاته ميالاً للانفراد برأيه مهملاً آراء الآخرين. وكما أن الكتابة موهبة فهي أوضح في الكتابة للصغار؛ لأنك تتعامل مع مصدق لما يراه أو يسمعه أو يقرؤه، ولقد بُلي المسلمون بحفنة من الجشعين الذين لا يحتسبون لله شيئاً مما يعملون، فلم يشجعوا أصحاب المواهب في الكتابة للأطفال، ولم يسمحوا لهم بالنزول إلى الميدان؛ مما جعل الكتاب المتخصصين نادري الوجود. ولكننا نلحظ منذ عقد من الزمن أن جيل الشباب المسلم بدأ بنشر ما كتبه المتخصصون قبل ردح من الزمن وبنشر الجديد مما كان له أطيب الأثر؛ حيث يجد الأب المسلم ما يطلب في كثير من الأحيان لأطفاله، ولا بد أن نعي أننا نصارع عدواً شرساً له باع طويل في التعامل مع أدب الطفل إن لم نشمر ساعد الجد لم نلحق به، ناهيك عن أن نسبقه[5].

واختم بالتربية الإسلامية نضمن صلاح وتنشئة الطفل لأنها تكون لدية رقابة ذاتية داخلية من نفسه لنفسه

المصادر:

(1) (موقع البيان الإماراتية)
محات في أدب الطفل- إبراهيم بن سعد الحقيل- باختصار وتصرف بسيط –نقلا عن المصدر : مجلة البيان السنة السابعة عشرة × العدد 179
(2) صحيفة / الرياض عدد 15703
(3) صحيفة اليوم السابع- الأربعاء، 28 أغسطس 2013
(4) موقع الأمن العربي
(5) لمحات في أدب الطفل- إبراهيم بن سعد الحقيل- باختصار وتصرف بسيط –نقلا عن المصدر : مجلة البيان السنة السابعة عشرة × العدد 179